تمثيلات السلطة في رواية "الغجر يحبون أيضا " لواسيني الأعرج من منظور النقد الاجتماعي

Representations of Power in the Novel “Gypsies Love Too” by Wassini al-Araj from the Perspective of Social Criticism

صادق البوغبيش[1]*، رسول بلاوي[2]، محمد جواد بور عابد[3]، ناصر زارع[4]

1 جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران ، sadegh8258a@yahoo.com

2 جامعة خليج فارس، بوشهر- إيران، r.ballawy@pgu.ac.ir

3 جامعة خليج فارس، بوشهر- إيران، m.pourabed@pgu.ac.ir

4 جامعة خليج فارس، بوشهر- إيران، nzare@pgu.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2022/04/21 تاريخ القبول: 2022/10/11 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص :

الجزائر البلد الذي شهد منذ القدم اهتمام القوميّات والحضارات والثقافات المختلفة وأطماعها لهذا البلد الغني بالخيرات، فتقلّب حكمها بين سلالاتٍ حاكمة محلّية وغير محلّية، فقد حكمها جماعاتٌ من العرب والأتراك العثمانيّين قبل أن تحتلّها الإسبان ثمّ يقدم إليها الاستعمار الفرنسي لكي يحكمها زمناً طويلاً، وفي هذه الحقب الزمنيّة كانت أمور كثيرة تأتي من السلطة لإخضاع الشعب الجزائري، وكانت هذه السلطات تتغيّر وفق المعايير والقرارات. رواية "الغجر يحبون أيضاً" من أهم الروايات الجزائرية حيث أنّ الروائي يدرس الحقبة التي كانت السلطة بيد الاستعمار الفرنسي وعانى منها العرب، والغجر، وحتّى الإسبان، وكانت الشخصّية البطلة في هذه الرّواية هي أنجلينا الغجرية التي كانت تحمل آلاماً بسبب السلطة.

يأتي هذا البحث وفق المنهج الوصفي - التحليلي ليبيّن مظاهر السلطة في رواية "الغجر يحبون أيضاً" حيث تظهر السلطة القومية، والصراع بين القومية العربية والغجرية ضدّ الفرنسيين من جهة، وسلطة الاستعمار والحروب والوضع المادي من جهة أخرى، ثمّ السلطة الزوجية التي تلعب دوراً مهمّاً في الرّواية. وفي النتائج سنرى بأنّ السلطة السياسية مركز الأحداث الرئيسية في الجزائر وقد ابتنت على إثرها السلطة المالية، والسلطة القومية.

الكلمات المفتاحيّة: مظاهر السلطة، السلطة القومية، السلطة السياسية، واسيني الأعرج، رواية "الغجر يحبون أيضاً".

* المؤلف المرسل: صادق البوغبيش، الإيميل : sadegh8258a@yahoo.com

Abstract:

Algeria is a country that has witnessed since ancient times the interest and ambitions of different nationalities, civilizations and cultures, so its rule fluctuated between local and non-local ruling dynasties. It comes from the authority to subjugate the Algerian people, and these authorities were changing according to standards and decisions. The novel "Gypsies also love is one of the most important Algerian novels, as the novelist studies the era in which power was in the hands of French colonialism, and the Arabs, Roma, and even the Spaniards suffered from it. This research comes according to the descriptive-analytical approach to show the manifestations of power in the novel "Gypsies also love", where national power appears, and the conflict between Arab nationalism and Roma against the French on the one hand, and the authority of colonialism, wars and the material situation on the other hand, then marital power that plays an important role in the novel. In the results, we will see that the political authority is the center of the main events in Algeria, and it has built the financial authority and the national authority as a consequence.

***Kaywords**: manifestations of authority, national authority, political authority, Wasini al-Araj, the gypsy novel.*

1- مقدمة:

انعكست صورة المجتمع وأفراده في الرّواية بشكل واقعي وحاول الروائي أن ينقل الصورة الحقيقيّة التي تعبّر عن المجتمع، ومشاكل المجتمع، والأمور التي تجري على الشعوب لهذا أصبحت الرّواية الجنس العالمي والأكثر انتشاراً ورواجاً بين الأدباء والقرّاء. الرّواية الجزائرية في العصر الحديث باتت تعكس معاناة الشعب الجزائري بشتّى القوميات والجماعات والأديان والمذاهب، فنرى واسيني الأعرج الروائي الجزائري المعاصر يعكس صورة للغجر ومعاناتهم في مجتمع الجزائر وتحديداً في وهران، فنرى جماعات الغجر في عصر الاستعمار الفرنسي والعنصرية التي كانت تحيط بهم. شخصية أنجلينا الغجرية هي من أهم الشخصيات في الرّواية حيث أنها تروي معاناة الغجر منذ محرقة النازيين للغجر حتّى العنصرية التي تمارسها سلطات فرنسا. ولم تكن جماعات الغجر في الرّواية وحدهم من يعانون من العنصرية وضغط السلطة الاستعمارية والسياسية والمالية بل هناك القومية العربية والإسبانية أيضاً في خضم زوبعة السلطة والضغوطات التي تمارسها السلطات على هذه الجماعات. إذن سندرس رواية مظاهر السلطة في رواية "الغجر يحبون أيضاً" على ضوء النقد الاجتماعي وأهمية هذه الدراسة تكمن في معرفة الممارسات للسلطة المختلفة في المجتمعات العربية المعاصرة والتشتّت الحاصل

بين الشعوب بسبب هذه السلطة وكشف أسبابها والهدف سيكون تعريف الأسباب ودراستها وفق المجتمع الجزائري.

1-1. أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤالين التاليين: كيف تأثّرت شخصيّات رواية "الغجر يحبون أيضاً" بالضّغوطات التي مارستها السلطة؟ وما مظاهر السلطة في الرّواية؟

وفي الفرضيتين لهذا البحث نرى فرضية السؤال الأوّل أنّ السلطة الاستعمارية مارست ضغوطاتها على المجتمع عموماً وعلى الشّخصيات خصوصاً حتّى أنّ هذه الضغوطات أدّت إلى تقابل وتناحر بين الأطراف وكانت العنصرية هي أشدّ الأمور التي كانت في الرّواية. والفرضية الثانية للسؤال الثاني نرى مظاهر السلطة كما يلي: السلطة القومية، والمالية، والسياسية-الاستعمارية، والأبوية، وقد تأثّر المجتمع الجزائري بهذه السلطة.

1-2. رواية "الغجر يحبون أيضاً"

حاول واسيني الأعرج، من خلال رواية "الغجر يحبون أيضاً"، الخوض في المعاناة التي ألمّت بالطائفة الغجرية، والتطرّق إلى الطّقوس والعادات الخاصة بالغجر، والتمييز العنصري الممارس ضد هذه الجماعة. وقد وظّف الروائي التاريخ واستمدّ منه للقيام بهذه المهمّة، كما أنّه حاول أن يروي قضايا مرتبطة بالغجر من خلال نظرة الآخر الفرنسي له، فقد كان من الطبيعي أن يعامل الآخر الفرنسي، بصفته المحتل لوهران، الغجر والعرب هذه المعاملة الشنعاء، كما أنّ هناك نظرة أخرى للآخر الغجري، وهي نظرة الغجري لنفسه، وكانت هذه النظرة، نظرة دونية، تهاجم العادات والقيم الغجرية، وتنظر إلى الغجري بعين السخط والكراهية.

2. القسم النظري:

في هذا القسم من الدراسة، سندرس النقد الاجتماعي وعلاقته بالأدب والتزام الكاتب، ثمّ ندرس مفاهيم السلطة في الرّواية.

2-1. النقد الاجتماعي والتزام الكاتب

الأدب والمجتمع تربطهما علاقة وطيدة في مواضيع كثيرة ولقد كانت "العلاقة المتبادلة بين المجتمع والأدب موضوعاً لاهتمام الباحثين في مجال الإنسانية منذ أقدم الأيام. وظهرت بواكير الدراسات المتعلّقة بالمجتمع والأدب بشكلٍ منهجي مؤطّر بأطر البحث العلمي، في آثار مدام دواستان. حيث عالجت فيها تأثير الدين والتقاليد والعادات الاجتماعية والقوانين البشرية على الأدب كما درست تأثير الأدب على المجتمع والثقافة. غير أنّ من عرف بمؤسس علم الاجتماع

الأدبي هو هيبوليت تين الذي ظهر بعدها. إنّ تأكيد تين على ثلاثية العنصر والبيئة والزمان ودورها في عملية الخلق الأدبي قد أضفى على دراساته بعداً مادّياً لا ينسجم مع الأدب كثيراً"[1]. أمّا العناصر التي اختارها هيبوليت تين فهي عناصر "البيئة، والزمن، والعرق" والعلماء الذين سبقوه أخذوا هذه العناصر وطوّروها، و"قد طور هيبوليت تين (1828- 1893) أفكار دي ستال واستفاد من تقدّم الدراسات الاجتماعية وأضاف إلى عنصري الزمن (الذي قال به فيكو) والعامل الجغرافي الاجتماعي (الذي قالت به دي ستال) عنصر الجنس أو العرق مكوناً بذلك ثالوثه المعروف "البيئة، والجنس، والزمن"[2]. والثالثوث الذي اختاره هيبوليت تين، هو من أولى المحاولات التي تربط الأدب والحياة والواقع الاجتماعي، فقد شرح هيبوليت تين العوامل التي تؤثّر في الأدب وهي:

أ: الجنس أو العِرق أو النوع: ويقصد به الخصائص القومية، إذ يرى أنّ أدب أمةٍ ما يختلف عن أدب أمة أخرى وهذا يعود إلى تباين الخصائص القومية التي تعني لديه تأثير المناخ والتربة والحوادث الجسام والدوافع الغريزية والعناصر الوراثية والنزعات الدفينة والعادات العدائية والملامح الجسدية.

ب: البيئة: فالإنسان في بيئته خاضع لأوضاع حتمية، هي التي تتحكم بالأدب والحياة العقلية، فقد كان تين مؤمناً بحتمية البيئة وهو يؤكد تأثير المناخ في المزاج الإنساني.

ج: الزمن أو اللحظة التاريخية: وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحركاً ويعني به روح العصر أو مكان العمل الأدبي من تاريخ التراث"[3].

لا مراء في أنّ الأعمال الأدبية لها صلة وثيقة بالواقع الاجتماعي، ومن هذا المنوال نرى نوعية الأدب الاجتماعي إذ أنه "الأدب الذي تنعكس فيه القضايا الاجتماعية والسياسية والأيديولوجية والأخلاقية. والنقد الاجتماعي هو منهج يدرس هذه الانعكاسات في الأدب"[4]. ويعد بحق جورج لوكاتش هو مؤسّس علم الاجتماع الأدبي أو بالأحرى علم الاجتماع عبر الأدب. "لقد درس لوكاتش العلاقة بين المجتمع والرّواية وتأثير المعتقدات الفكرية عند الكاتب على مواضيع الآثار الأدبية وأفكارها"[5]. فالناقد الاجتماعي يبحث عن مظاهر الاجتماع في الرّواية "إنّ النقاد الاجتماعيين يدرسون العادات والتقاليد والعقائد والنهضات التي انعكست في الأدب وهي في نفس الوقت وليدة الآثار الأدبية"[6]. ولا شك أنّ علاقة الأدب بالمجتمع علاقة وطيدة كما يعبّر عنه أحمديان: "الأدب من حيث هو تعبير إنساني وجدناه منذ بداياته الأولى شديد الارتباط بالمجتمع والأيدولوجية ولكن الذين جعلوه منهجاً هم الماركسيون الذين جعلوا الأدب آلة لمآربهم السياسية وطالبوا الأدباء بتوظيف أدبهم لخدمة الماركسية ممّا أدّى إلى الخلاف والاصطدام العنيف بينهم وبين الشكلانيين"[7].

يقول ويلفرد غرين حول المنهج الاجتماعي: "إنّ المنهج الاجتماعي هو منهج تقليدي لأن دراسة الأدب من المنظار الاجتماعي نقد اجتماعي وهذا النوع من الدراسة كان معروفاً منذ القدم"[8]. وإن كان مثل هذا النقد موجوداً منذ القدم، ولكن مؤشّرات الرّواية قد تغيّرت من عصرٍ لعصرٍ آخر ومن الواجب أن تتطوّر النظرية وفق معايير الرّواية الحديثة ويجب الفصل بين علم الاجتماع الأدبي والنقد الاجتماعي للأدب "فهناك علم اجتماع أدبي يهتم بتفسيره نشأة الأدب وماهيته ووظيفته على اعتبار أنه شكل جمالي له دلالات اجتماعية وربما اهتمّ هذا النوع بإطلاق أحكام قيمية، وهناك علم اجتماع أدبي يختلف عن النقد الاجتماعي للأدب من حيث اهتمامه بالبحث عن صورة المجتمع داخل الأعمال الأدبية"[9]. وهناك عناصر خصّصت لهذا المجال سيّما الباحثة الاجتماعية مدام دي ستال (1766- 1817) ترى بأنّ كل عمل أدبي يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية ما، حيث يؤدي وظائف محددة بها، ولا حاجة إلى أي حكم قيمي فكل شيء وُجد لأنه يجب أن يوجد"[10]. وهذا البحث سيدرس وفق علم الاجتماع الأدبي حيث يدرس الباحث من خلاله المضامين والمحتويات السياسية والاجتماعية والثقافية من خلال رواية "الغجر يحبون أيضاً" لواسيني الأعرج.

من الطبيعي جداً أن يلتزم الكاتب المتعهد بالواقع الاجتماعي "فكل تغير إذن في علاقات الإنتاج أو في البناء الاقتصادي الاجتماعي يستتبع بالضرورة تغيراً في الرؤية لمفهوم المجتمع، والإنسان واللغة، والأدب والقيم.. إلخ وهو ما يؤدّي بالضرورة إلى تغير في الأشكال الأدبية من حيث الموضوعات والأساليب والأهداف، وهذا يعني أن الأدب انعكاس للواقع الاجتماعي"[11]. ومن هذا المنطلق يصبح الأدب وثيقة تاريخية لأنّ "الأدب يقدّم صورة للعصر والمجتمع والأعمال الأدبية وثائق تاريخية واجتماعية.. وإنّ العلاقة بين الأديب ومجتمعه علاقة جدلية، فالأديب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه، تصنعه ظروفه وأحواله الاقتصادية والفكرية والسياسية وإن رؤية الأديب الفكرية، وفلسفته عن الحياة والكون، إنما تتبلوران بتأثير المجتمع والمحيط والتربية. والأديب يؤثر في مجتمعه، فيسهم في تطويره وإصلاحه، وقد تحمل كتاباته بذور الثورة والتغيير وصياغة مشاعر الناس وأحاسيسهم على نمط معين"[12]. كان واسيني الأعرج كاتباً متعهداً وملتزماً بقضايا اجتماعية ولم يكتب للتسلية فحسب بل حاول نقل الواقع المعاصر في الجزائر.

2. مفاهيم السلطة

تُعدّ السلطة من العناصر المهمة في البنية الاجتماعية إذ تمثّل مستوى التطوّر العقلي داخل المجتمع وهي ضابطة للحياة الإنسانية وهي "الملك والقدرة والحكم الذي تتجه إليه كل أمور الدولة، وهي بهذا عامل مهم لردع المخالفات في النظام العام للمجتمع، الذي هو صفة أساسية في الحياة الإنسانية"[13]. وماكس فيبر عبّر عن مفهوم السلطة إذ يقول: "السلطة هي القدرة على

إجبار وإلزام الغير بفعل ما لم يكن ليفعله من تلقاء نفسه"[14]. وهناك من ربط السلطة بأسس وأشكال، إذ أنّ أهم الأسس الشكل الترابطي والتراتبي. الشكل الترابطي: ويكون على شكل تعليمات وبرامج. والشكل التراتبي: يكون على شكل أوامر[15]. والسلطة تتواجد من أجل تنظيم المجتمع وبسياق ممنهج مؤثر "فالسلطة هي سياق مقصود يؤثر بفاعلين على الأقل وهي بالتالي علاقة اجتماعية عامة تماماً تهدف إلى تنظيم المجتمع ومختلف الجماعات التي تسودها من أجل ضمان أحسن تسيير واستمرارية"[16] وهناك سلطة مشروعة وغير مشروعة فالسلطة المشروعة "مشروعة ومخولة تمارس في إطار الحدود المتعارف عليها والتي تسمح بها القوانين المسطرة، كما قد تكون سلطة تفتقد لأسس شرعية وتقوم على التسلط والعنف والجبروت والإكراه"[17]

1-2. السلطة السياسية في الرّواية

الرّواية المعاصرة في الجزائر أصبحت معبّرة عن الواقع والمآسي الاجتماعية والسياسية بشتّى الأشكال من ظلم واستبداد ومصادرة حقوق الإنسان، ولهذا اتّخذت الرّواية مساراً وطنياً. في رواية "الغجر يحبون أيضاً" تأتي السلطة السياسية لكي تبيّن الدور الذي أقامت به الحكومات المستعمرة لاضطهاد الشعوب التي باتت تحت سلطة الاحتلال. "تتّجه الرّواية السياسية دائماً إلى دراسة ومعالجة القضايا التي يعاني منها الفرد بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة من ظلم واستبداد وقهر وتهميش وهذا ما عبّر عنه العديد من الكُتّاب المعاصرين في طروحاتهم حيث أصبح الكاتب هو المؤرّخ الحقيقي لكثير من أحداث الأمّة وقضاياها"[18]. فهذه أنجلينا الغجرية ترى جدّها ظُلم وسُجن وبما أنّه لا يستطيع تحمّل الظلم قد انتحر:

"مات جدي إيميليانو زباطا في حبسه منتحراً، بعد أن شنق نفسه بقميصه، عندما نطق القاضي العسكري بالحكم 30 سنة سجنا نافذة، صرخ جدي من شدة الظلم والألم، ثمّ عوى مثل ذئب البراري: Mentiras, maldito hijo de perro (إنّكم تكذبون يا أبناء الكلب) ومن يومها، فقد صوته نهائياً. لم يتحمّل السجن والصمت، وهو الُحرّ دوما. الموت حرا أفضل من الحياة ذُلا. شعاره الذي جرّه وراءه حتى القبر"[19]

فالغجري لا يستطيع تحمّل الظلم والذل والهوان ويرغب في الانتحار بعيداً عن حياة الذل. إذن الروائي يريد سرد أحداث متعلّقة بجماعات تسكن في وهران ومن واقع المجتمع الجزائري و"إنّ الأدب يقدّم وجهة نظر حول واقع الإنسان ووسطه وحول الكيفيّة التي يدرك بها الإنسان هذا الوسط والروابط التي يقيمها معه"[20]وهذا الوسط هو المجتمع الذي يعيش فيه. كانت السلطة السياسية والضّغوطات والاغتيال ضدّ المواطنين جعل شباب وهران يوزّعون منشورات سرية:

"شباب يوزّعون بشكل شبه سرّي، منشورات عامّة تدافع عن فكرة استمرار رياضة مصارعة الثيران، وتحتها يوزّعون وثيقة أخرى، بحسب الأشخاص، عن توقيف التقتيل المجّانيّ ضدّ المواطنين العرب، والعنصرية ضدّ القوميات الأخرى تحت عنوان: لسنا حلزونات ضائعة"[21]

كانت سلطات الاحتلال تقتل الغجر والعرب دون مبرّرات وتغطّي هذه الجرائم بتهمة الإرهاب ولا شك بأنّ الروائي يصف لنا السلطة السياسية وقد "أصبحت حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرّواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع والصراع الطبقي والسياسي والتفاوت الاجتماعي وتناحر العقائد والايديولوجيات والتركيز على الرهان السياسي من خلال نقد الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي"[22]وكانت أنجلينا ترى السلطة السياسية قد قتلت أبناء قومها ظلماً:

"أنا من بيت يرفض الظلم. من أمّ غرناطيّة وأبٍ من أهالي وهران. عائلتي تعرّضت لكلّ الويلات، كغيرنا من غجر هذه البلاد، من محتشدات النازيّة، وتجريب غاز زيكلون ب، في جهنّم بوزنفال، إلى التعقيم حتّى لا تلد نساؤنا"[23]

الروائي الذي نقل لنا هذه المأساة أراد أن ينقل القهر السياسي والاجتماعي وقد تعرّض الغجري لهذه الأمور لأنّ هنالك "قضيتين داخليتين انعكستا على أغلب إنتاج الأدباء العرب من المحيط إلى الخليج، وهما القهر السياسي والظلم الاجتماعي"[24] لا شك بأنّ كانت إبادة بحق الغجر وكانت عائلة أنجلينا قد نجت لأنّها لم تأخذ وثائق خاصّة بهويّة الغجر وإلا لكان مصيرها كمصير باقي الغجر. وكانت السياسة قد غيّرت الكثير من خرائط العالم، بتهجير أهلها أو إبادتهم. في الرّواية نرى ملامح الإبادة تجاه الغجر وتهجير العرب من الأندلس. عندما كان ينظر خوسي إلى صورة السفينة التي كانت على حائط بيت فاكوندو نقرأ:

"يقول فاكوندو إنّها للأندلسيين المهجّرين من أليريا نحو وهران"[25]

إذن السلطة الفرنسية لم تكن وحدها في معاناة أهل وهران لأنّ الإسبانيين كانت لهم يد في اضطهاد العرب وتهجيرهم واحتلال بلادهم، و"إن الاستعمار ليس بظاهرة حديثة، فتاريخ العالم مليء بكثير من الأمثلة على مجتمعات امتدّت وضمّت إليها أراضٍ مجاورة، وقامت بتوطين سكانها بأرضٍ جديدة محتلة"[26]فالسلطة الاستعمارية تتجذّر من السلطة السياسية.

2-1-1. السلطة الاستعمارية

صارت للاستعمار مفاهيم كثيرة منها "إن الاستعمار هو ممارسة الهيمنة، والتي تتضمّن إخضاع شعب لآخر"[27] كانت السلطات الفرنسية قد استعمرت الجزائر واستحوذت على أراضيه وثرواته، وكانت أنجلينا تحاول أن تذّكر الشرطي الفرنسي بأنّ فرنسا لم تأت إلى وهران إلا

متأخراً بصفة محتل، عندما تحدثت أنجلينا عن سرفانتيس الغجري الذي كان من ثوّار الجزائر نقرأ:

"نحن نحبّ وهران ورموزها العظيمة. احتفلنا في العاصمة بوضع تمثال للغجري الأوّل سرفانتيس، في مغارته التي تخفّى فيها، في مرتفعات العاصمة ونتمنّى أن يكون لنا في وهران تمثال لسرفانتيس.

_ معروف. سمعت به. نعم، سمعت الكثيرين يتحدّثون عنه، لكنني لم أعرفه للأسف.

_ لا يمكنك أن تعرفه، فقد سبقك إلى هذه الأرض بأربعة قرون هيه...

ضحكت النسوة وراءها بصوت مسموع، وضحك هو معهنّ بالكثير من الغباء" [28]

كانت أنجلينيا تقف في وجه الاستعمار كما كانت عائلتها ضدّ الاضطهاد والقسوة وهذا حال أبناء الجزائر في تلك الحقبة. "ظلّ الشعب الجزائري خلال القرن التاسع عشر يعاني ويلات المستدمر الغاشم، ولكنه خاض المعارك ضد المحتل بشجاعة وإيمان، هذا الاضطهاد وهذه القسوة هي البادرة الأولى التي جعلت العلماء والشعراء، الذين كانوا يمثلون الرأي العام المستنير والواعي للأمة، يعملون على تنظيم صفوف الجزائريين من أجل رفع الظلم وإبعاد المحتلين من وطنهم"[29] وكان الروائي يصوّر الشرطي الفرنسي الذي كان يحرس ممتلكات الاستعمار وكأنّه غبي، وهذا الأمر يأتي من عدم درايته بتاريخ وهران تحديداً لأنّ في هذا النص نقرأ: "لم يكن يعرف شيئاً ممّا كان يسمعه"[30] ودور الأبطال في الرّواية الجزائريّة كانت من سماتها الجديدة، من الجوانب الجديدة التي تطرّقت إليها كتّاب الرّواية الجزائرية الحديثة، هي الحديث عن أبطال الثورة من جوانب مختلفة، كأحوال الشخصيات من حيث معاناتهم أثناء الثورة أو بعد الاستقلال"[31] وكان الاستعمار يرى بأنّ الغجر مشكلة:

"الغجر مشكلة تكبر كلّما لامسناها أو اقتربنا منها، قال الشرطي" [32]

كانت الغجر تثور ضد الاستعمار الفرنسي لعنصريتهم في التعامل، "الطائفية أو العنصرية هي الانتماء إلى العرق أو إلى مجموعة أو إلى توجّه سياسي بشكلٍ قومي، لهذا كانت السلطات الاستعمارية ترى الغجر ممّن يسبّبون المشاكل في وهران. كان الشرطي يضخّم الأنا التي ينتمي إليها عندما قالت أنجلينا بأنّها غجرية والكل تعرفها:

"أنا أنجلينا أموندين، يعرفني كلّ الغجر. _لكنني شرطيّ، ولست غجرياً"[33]

فالشرطي يحاول أن يذكّر أنجلينا الانتماءات لكل شخص، فهو شرطي فرنسي محتل، وهي غجرية تسكن وهران فحسب. كما أنّ الإسبانيين الذين يسكنون وهران يرون بأن للإسبان حق أكثر من الفرنسيين، لأنّهم سكنوها قبلهم ويرون الفرنسيين محتلّين لهذه المدينة، لهذا نقرأ في

الرّواية بأنّ مساعدة أنطونيو التي كانت تدعى "سانتا ماريا" عند إحضاره للصراع مع الثور تقول له:

"مايسترو أنطونيو. أنت الآن جاهز للمعركة الكبيرة التي ستبعث حباً جديداً لهذه الرياضة، بين عشّاقها، وتحفظ للإسبان حقّهم في هذه الأرض التي سبقوهم إليها منذ القرن الخامس عشر" [34]

وكانت وهران محط صراع للسلطة ومركز اهتمام الحضارات المختلفة وقد حكمتها سلالة من العرب المحلّيين ثمّ العثمانيين ثم احتلّها الإسبان وفي الآخر جاء إليها الفرنسيون ولكل واحد منهم بصمته الخاصة في هذه المدينة الجميلة. ولم يكن استعمار فرنسا في الرّواية فحسب، بل هناك استعمار إسباني في زمن فرانكو يحضر في الرّواية وشرّد الأهالي من ديارهم. تروي مادري مارتا قائلة:

"هو صديقي من أيّام الحرب الأهلية.. هربنا معاً في سفينة محمّلة بالقمح، واعترضتنا فرقاطة فرانكو. فتّشونا. وادّعينا أنّنا صيّادون"[35]

ثمّ أنّ حضور الأرض في الرّواية تحمل دلالات سياسية تدفع واسيني الأعرج للخوض في الموضوع الواقعي ومسألة الاستعمار ونهب ثروات الجزائر:

"شيء قاسٍ أن تُسرق منك أرضك التي كبرت فيها، كيفما كانت الأسباب الخبيئة"[36]

وحضور مفهوم الأرض في الرّواية تعكس مفاهيم عدة في زمن الاستعمار و"إن صورة الأرض في الرّواية الجزائرية مرحلة الاستعمار كانت تعكس الوقائع التاريخية والاجتماعية والسياسية التي مرّت بها الجزائر، رغم ما تحمله الرّواية من أدوات فنّية بسيطة ويكفيها أنّها حملت موضوع الأرض وحدّدت طبيعة الصراع مع الاستعمار الفرنسي"[37]

2-1-2. السلطة الفرنسية

في رواية "الغجر يحبون أيضاً" السلطة السياسية كانت تخاف من حضور الإرهاب في وهران، لهذا شدّدت السلطات على الوافدين الجُدد من خلال السيطرة على محطّة القطار، لكن ما يهم السلطات ليست أرواح الغجر أو العرب ولا حتّى الإسبانيين، بل كان همّهم الفرد الفرنسي المستعمر:

"الإرهاب جنّنا، وسرق عفويّتنا وراحتنا. تعرفين أنّ الأمور في هذه الأيّام ليست على ما يرام منذ التفجيرات الأخيرة. حياة المواطن الفرنسيّ أصبحت في خطر شديد. من يدري؟ ربّما يكون أحد الإرهابيين قد سافر معكم في القطار نفسه. لهذا، أصبح التشديد الأمني في كلّ مكان"[38]

فيرى الشرطي أنّ الفرد الفرنسي هو وحده في خطر وكان يرى أنّ الإرهاب يأتي من قبل الغجر والعرب، لهذا كانت الشرطة في وهران تحقّر الغجر والعرب. وكانت سلطات فرنسا لم تعترف بالغجر كمواطنين فرنسيين، لهذا الغجر ومصيرهم في وهران لا يهتمّ بها الفرنسي:

"نار وطنٍ نسي فجأة أنّنا معلّقون في عنقه كالتميمة، حتّى لو نفرنا أو باعنا للقتلة الذين يتربّصون به وبنا! باعونا يا عزيزي خوسي. أنت لا تشعر بهذا الظلم وهذه القسوة. تخيّل نفسك للحظة، تأتي يدٌ عسكرية وتشحنك في شاحنة ثقيلة، ثمّ تُرمى في باخرة لنقل الحيوانات إلى فرنسا، وعندما تفتح عينيك تجد نفسك في محتشد داشو، ومن هناك إلى محتشدات الموت والمخابر النازية التجريبية على أجسادنا. لم يكن مهماً أن تكون فرنسياً، فأنت في النهاية محسوب على الغجر، ولهذا وُجب أن تُباد، لأنّك تشوّه الجنس الراقي" [39]

رغم أنّ أنجلينا ترى نفسها فرنسية ولكن السلطات الفرنسية لم تعترف بها كفرنسية لأنّها غجرية والغجر ليسوا فرنسيين لهذا نرى تقابلاً بين الفرنسيين والغجر. ثمّ أنّ صديق خوسي أورانو بعدما فشل بأن يكون ممثلاً يقول لخوسي:

"كنت تتصارع مع الثيران الصغيرة وأنت على حصانك، بينما كان حلمي أقلّ من ذلك بكثير، أن أكون ممثلاً سينمائياً! تخيّل. تخيّل أحمد زبانا، أو حميميد ممثلاً كبيراً. أعرف أنّ ذلك لن يكون، لأنّه في مدينتنا توجد ثلاث مواطنات. المواطنة الفرنسية الخالصة، مواطنة فقراء أوروبا واليهود، على الرغم من قانون كريميو الذي رفع اليهود إلى الجنسية الفرنسية، وفي آخر السُّلَم، لا مواطنة المسلمين"[40]

فيرى حميميد بأنّ الفرنسيين جعلوا للجزائر طبقات والطبقة الأولى لهم ولأفرادهم ثمّ اليهود ولا مواطنة للعرب والغجر. وكانت السلطة الاستعمارية الفرنسية تصعّب الأمر على العرب خاصة، فيقول حميميد لخوسي:

"صعوبات الحياة والعمل الشاقّ. الحياة أصبحت صعبة عليكم، أنتم الإسبان، والفقراء الأوروبيين، فما بالك بالنسبة للعربي أو المسلم؟ فهي أسوأ مرّتين"[41]

يرى الفرد المسلم في وهران أنّ السلطة الفرنسية مارست العنصرية ضدّهم ونرى أيضاً أنّ الإسبانيين كانوا يعانون من هذه العنصرية:

"انظر، قال خوسي. مايسترو خمنيث الشيوعيّ، يشهك في كلّ شيء، حتّى في تحليلك. هو يرى أنّ السلطات وضعت مواطنتين، واحدة للفرنسيّين القادمين من هناك، ونخبة من الأوروبيين، ومواطنة في الحضيض للبقية بمن فيهم بعض الإسبان والغجر والمسلمين"[42]

وكانت السلطات الفرنسية التي احتلّت الجزائر تظلم جميع الأطراف الساكنة في وهران، من غجر، وعرب وإسبانيين، تقول مادري مارتا:

"مدريد أفضل. على الأقل في بلده وأهله. الإسبان هنا ما يزال يُنظر لهم نظرة دونية وكلّ السرقات التي تحدث في الأحياء الغربية من الكوريدا ومن وهران المدينة، يتحمّلونها هم والعرب. مع أنّنا كنّا قبل الفرنسيين الوافدين، ولنا أجداد منذ القرن السادس عشر"[43]
فالسلطات الفرنسية كانت تتهم العرب والغجر دون أدنى شك حتّى لو كان الفاعل غيرهم.

2-2. السلطة الزوجية في الرّواية

الرجل في رواية "الغجر يحبون أيضاً" تعدّدت مفاهيمه وتأتي هذه التعاريف من خلال شخصية أنجلينا، فتارة الرجل هو الأب البطل الذي لا يقهره أحد، وتارة أخرى الرجل هو الزوج العصبي الذي لا يعرف إلا لغة التهديد، وتارة الرجل هو شهواني لا يعرف إلا لغة الشهوة. ومن أهم الأمور التي نلمسها في الرّواية هي سلطة الزوج على الزوجة، والأمور التي تجري بينهما، فقد نرى صراعاً بين أنجلينا وزوجها غارسيا بيكينيو، فعندما سألها الشرطي هل هي متزوجة ترد عليه:

"نعم. زوجة أحد أكبر مجرمي المدينة، هه... غارسيا بيكينيو. عمله الوحيد الذي يُتقنه هو القتل، وخَصي الحمير، والبغال والأحصنة"[44]

بما أنّ الرّواية لم تُكتب لكي تعالج قضايا مرتبطة بالمرأة ولكن معاناة المرأة الغجرية قد طغت على الحبكة وهذا أمر يقوم على قاعدة الواقع حيث أن الرّواية تقوم "بتأويل الواقع ورفضه، متطلّعة إلى واقع آخر يعترف بالإنسان وحقوقه"[45] كان غارسيا رجلاً عصبياً لا يعرف إلا لغة التهديد، فتقول أنجلينا لخوسي بعد ما رقصت معه قُبيل دخوله للحلبة:

"كنتَ أحسن أداءً في الحبّ من الثور البائس الذي يعيش معي، زوجي غارسيا بيكينيو. لا يعرف إلا التهديد والقتل. عصبيّ، يشعر دوماً أنّه سيخسرني، وأنّي سأطير من بين يديه يوماً ما. وقبل أن ينطق خوسي أورانو بأيّة كلمة، في اللحظة نفسها بالضبط، كان غارسيا بيكينيو يقف بينهما. سحبها بقوة نحوه، كأنّه داخل ساحة الكوريدا. تركها وراءه وتقدّم قليلاً بصدر منتفخ، نحو خوسي.. بينما نظر غارسيا إلى وجه خوسي بحدّة، لم يعرف هذا الأخير، إذا ما كان جزءاً من العرض أم غلياناً حقيقياً، سببه الغيرة التي أودت بحياة الكثير من الغجر. لاحظ فجأة الوشم الذي ختم ذراعه الأيسر. قال غارسيا وهو يردّ تلقائياً على آخر كلام أنجلينا: تخيّل يا سيّد خوسي أورانو. هذه القحبة المجنونة، زوجتي الحبيبة! تستحقّ القتل الآن، ويُساح دمها أمام الجمهور"[46]

فالكاتب صوّر غارسيا بغيرة طافحة وهذا طبيعي لأنّ "الكاتب عندما يريد أن يصور حياة المرأة الاجتماعية في الرّواية العربية فإنه يربطها ربطاً وثيقاً ببيئة حياتها، فهي يلقي الضوء على أفكارها ومواقفها في المراحل المتعاقبة الحافلة بالهموم والصراعات والتطلّعات"[47] كان غارسيا

يرى أنجلينا غير عفيفة ولكنه يحبها ولأجلها قتل الكثيرين وسيقتل إذا لزم الأمر. كانت أنجلينا تكره مصارعة الثيران لكن غارسيا يجبرها على الحضور:

"أنا لا أحبّ مصارعة الثيران، زوجي غارسيا مجنون في هذه الرياضة، وهو من يجرّني نحوها في كلّ مرّة... [غارسيا:] تعرف كم أحبُّك يا خوسي، لا بأس أن تخونني هذه القحبة معك، لكن لا أقبل أن تتركني وتذهب معك. في هذه الحالة، وهذه الحالة وحدها، يمكنني أن أقتلك أو أقتلها بلا تردد "[48]

وكانت النساء التي تعيش في ظل رجل سلطوي تعاني من أمور كثيرة، وهي يجب عليها أن تعيل العائلة، فعليها أن تشتغل وتمتهن مهناً لكي تحصل على الأموال، كما كان حال أنجلينا التي يجب عليها أن تبيع بضاعات في الأسواق:

"شمّ رائحة عطر أندلسيّ يشبه عطر العود الذي يُصنع في البيوت الغجرية، وتبيع منه أنجلينا لنساء الأسواق" [49]

فهذا الأمر يرجع إلى السلطة الأبوية حيث أنّ الغجري الرجل يأمر النساء الخروج إلى الشوارع وبيع الأدوات، والتسوّل، أو يرسلهن إلى حانات الرقص والغناء، و"أن النظام الأبوي يتميّز بسلطة أبويّة تبدأ أول ما تبدأ في العائلة بسلطة الأب البيولوجي ثم تمتدّ إلى السّلطة في البيئة الاجتماعية والمتجسّدة في علاقات المجتمع وحضاراته"[50] والضرب في ظل الزوج السلطوي، أمراً طبيعياً:

"ارتمت في حضنه، وبدأت تبكي. كان وجهها مملوءاً بالكدمات... _من فعل فيكِ هذا كله؟... غارسيا الكلب.. ضربني على وجهي بعنف كبير، كأنّه يريد قتلي.. لكنّ مبالغته في الضرب، لدرجة أنّه أفرغ فيّ حقداً دفيناً، آذتني ولم يعُد الأمر مجرّد غيرة، ولكنّه حقد من شيء مُبهم أنا نفسي لم أفهمه! أعرف أنّه عنيف، لكن ليس إلى هذه الدرجة.. تذكّرت ليلتها كيف اغتصبني بعنف، ذات مرّة وهو في حالة سكره الشديد، في عزّ حالة هياجه. كتّفني مثل خروف، وقام معي بكلّ ما يُمكن أن يفعله مغتصب، وبيّتني مكتفّة ومربوطة على السرير "[51]

كانت الفحولة لغارسيا قد طغت على باقي أوصافه في الرّواية ومن هذا الجانب نرى أنجلينا تصرّح بأفعال غارسيا حول الاغتصاب والشتائم التي كان يشتمها "ومن هنا نرى أنّ الرّواية المعاصرة جاءت أكثر جرأة في وصف المشاهد الإباحية وتسمية الأعضاء الجنسية بمسمياتها في ذلك الكتاب من الجنسين في مختلف الأقطار حتى تلك التي ينظر إليها على أنها مجتمعات مغلقة ومحافظة"[52] إذن كانت شخصية غارسيا من الشخصيات السلبية في الرّواية وعلى رغم

المعاناة الكثيرة التي كانت تعيشها الغجر، فقد كان غارسيا وحده معضلة كبيرة بالنسبة لأنجلينا وأسرتها.

3-2. السلطة المالية والبعد الاقتصادي

يعدّ البعد الاقتصادي والمالي من أهم العوامل المؤثرة في المجتمع وتكوينه، فجولدمان يرى أن الرّواية "هي العمل الأدبي، الذي يعكس الحياة اليومية في مجتمع يطبق نظام السوق"[53]"الغجر يحبون أيضاً" رواية تروي للمتلقّي هوية الإنسان وطبقات النفس الإنسانية مثلما هي عن طبقات بناء السلطة في المجتمع الجزائري وأهمّها سلطة المال وتنوّعت في وصف الطّبقات الاجتماعية فهذه خصال الرّواية العربية الحديثة و"لم تراوح مكانها، ولم تعد أسيرة ارتباطها بالطبقة الوسطى، بل تعدّدت وتنوعّت، وطوّقت طبقات اجتماعية أخرى، معبّرة عن همومها وأحوالها"[54] كامليو الشرطي الذي أدخل أنجلينا إلى القسم المخصّص للماتادورات كان يحب مصارعة الثيران، وعندما رأى خوسي أورانو انحنى له احتراماً ثم قال له:

"تمنّينا أن نحضر لك منازلة مكسيكو القادمة، <u>لكنّ ظروفنا الماليّة لا تسمح</u>"[55]

الشرطي الذي كان يحب مصارعة الثيران وكان يحب خوسي أورانو يعتذر لعدم الحضور وكان السبب مالي، لأنّ في البلدان التي يحكمها الاستعمار ترى الفقر يسيطر على أكثر أفراد المجتمع. وكانت الحرب قد سبّبت في فقر الشعب وتحديداً أهالي وهران ونرى أنجلينا تقول:

"اخرج من دائرة الماتادور وانظر من حولك، من أين <u>جاء هذا الفقر وهذه التعاسات المُستشرية</u>، هذه الحرب العمياء التي تأكل محيطنا ونحن لاندري؟"[56]

ترى أنجلينا الحروب هي التي جاءت بالمجاعة وفقر الشعوب ثمّ أنّ الاستعمار والاحتلال للجزائر والعنصرية التي تمارسها السلطات الفرنسية جعلت الشعب يعيش في حالة فقر. لم يكن الفقر حاضراً وحده في الرّواية بل هناك أصحاب المال في الرّواية سّببوا متاعب لأهالي وهران:

"أعرفه منذ سنوات طويلة، عندما كانت كوريدا وهران متعة كلّ الوهرانيين، قبل أن يحوّلها الأغبياء والجهلة وأصحاب المال العميان، مكاناً للحِلفاء، لصنّاع الورق"[57]

وكان الفرنسيون المحتلين يملكون مالاً كثيرة حتّى يختلفون في لباسهم وطريقة معاملتهم، إذ أنّ ينظرون للآخر بعين الاحتقار، سيّما المرأة الفرنسية التي أضاعت حقيبتها اليدوية يصفها الروائي هكذا:

"صرخت ثانية، السيدة النحيفة التي كانت تحمل حقيبة يدوية أنيقة، بجلد ثعبان، وعلى عينيها نظارتان شمسيتان"[58]

فكانت الشخصيات المرتبطة بالثقافة الفرنسية أو من العرق الفرنسي، كانت تعيش حياة غنية ولكن باقي القوميات والجماعات التي يفصلهم العِرق من فرنسا، يجب أن يعيشوا في ظل الفقر والتعاسة.

2-4. السلطة التراثية والثقافية للغجر

يأخذ مفهوم التراث مكانه المميز في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الإنسان وتاريخه ومؤثرات وجوده، والتراث هو حصيلة المعارف والعلوم والعادات والإنتاج المادّي المتراكم عبر التاريخ "يضم الممارسات الشعبية والطقوسية معا، كما يضم الفلكلور والميثولوجيا ويضم أيضاً الأدب الشعبي الذي أبدعه الضمير الشعبي أو العطاء الجمعي في مسيرته الحضارية من القديم إلى اليوم"[59]فهناك سلطة ثقافية تعاني منها أفراد الطائفة الغجرية حيث أنّ التقاليد القديمة لا تروق لشباب الغجر وهذا الأمر يؤذيهم، مثلاً نرى أنجلينا تُخضع لكشف العذرية وهذا الأمر كان يؤذيها جداً:

"قمت بكلّ الحماقات إلا عذريّتي. حافظتُ عليها، لأنّي كنت أعرف أنّه سيأتي يوم وأكون مجبرة على الدفاع عنها. في أعماقي، كنتُ خائفة من فقدها، لأنّي في مرّة من المرّات، فتحتُ رجليّ أكثر من اللازم وأنا أرقص، لدرجة أني شعرت بألم وتمزُّق، لكني عندما فحصت نفسي لم أر دماً. _ ما هذا الهراء؟ أين نحن؟ كأنّنا نعيش في كوكبين مختلفين. _أظن ذلك بالفعل. أنت لا تعرف شيئاً عنّي إلا الرقص والرغبة المجنونة في الحياة. لكن، أنا يا عزيزي خوسي، لا نصير لي عندما أقع بين أيدي نسائنا اللواتي يختبرن عذريتي، إلا تحمّل البهدلة. سيبدو لك الأمر غريباً! وعندما أثبتُ عذريتي التي كنتُ خائفة من أن تكون قد ضاعت ونجحت في امتحان الفحص. ومنحتُ المنديل لأمّ غارسيا التي فرحت به جداً، لأنّها تأكدت من أنّ كنّتها عذراء"[60]

في العصر الحديث تغيرت الموازين عند الجيل الجديد فراح ينتقد التراث والتقاليد لاسيما "بعد التغيير الذي طرأ على الصعيد الاجتماعي والسياسي إثر عملية الاستعمار، حيث أصبح الفرد يعيش صراعاً مع واقع يرفضه من جهة، وعاجز عن إحداث تغيير فعلي فيه، كما أنه يعيش في الوقت ذاته صراعاً مع بقية الفئات الاجتماعية من جهة أخرى، مما أدّى إلى تعاظم مأساته"[61] وكانت أنجلينا ترى حياة الغجر حياة كارثية:

"هذا كلّه من بؤس الغجر. أنا أدافع عنهم، لكن حياتهم زفت وكارثية. يستمتعون بأكل لحم بعضهم بعضاً. أنا الليلة ناقمة على كلّ ما يحيط بهم، وبربّ ثقافتهم الكارثية. اللعنة عليهم وعلى معيشتهم القاسية"[62]

وتنتقد أنجلينا الموروث الشعبي للغجر رغم أنّ "يعتبر الموروث الشعبي جزءاً مهماً من التراث الثقافي، والذي يرمز إلى مختلف الأنماط الثقافيّة لحياة العامّة من الناس في المراحل التاريخيّة السابقة، وتندرج تحت إطاره العادات والتّقاليد والطّقوس الشّعبية، والأهازيج الشّعبية كأنماط ثقافية تنتقل عبر المحاكاة والتقليد لتشكّل مركز الثقل في أيّة ثقافة اجتماعية أو هوية ثقافية"[63] ولاشك بأنّ واسيني الأعرج ممّن استند على التراث لكتابة الرّواية و"إن الروايات الجزائرية شهدت وبشكل كبير التناص مع التراث كروايات بن هدوقة، ووطار كما أنّ هذه الخاصية ملازمة لأغلب الروائيين الجزائريين"[64] أمثال واسيني الأعرج، فدور التراث كبير في روايات واسيني الأعرج ولو تنتقدها شخوص الرّواية.

2-5. السلطة القومية

مسألة القومية من المسائل المهمّة في المجتمعات العربية رغم أنّ تغيّرت مفاهيمها واختلطت مؤلفاتها حتّى صارت المناطقية، والطائفية، والحزبية تغلب المفهوم العام ويقول مصطفى عبدالغني في تعريف هذا المفهوم: "أن الاتجاه القومي هو الذي يستهدف تعميق الإحساس لدى أبناء الأمة العربية بالانتماء إلى الأمة الواحدة، ووعيهم بمفهوم القومية العربية ومقوماتها وتحريكهم بالعاطفة والوعي معا لترجمته في سلوكهم وممارساتهم واضعين نصب أعينهم الهدف القومي الأكبر: تحقيق الوحدة العربية الشاملة"[65] في الّرواية نرى السلطة القومية الفرنسية كانت تفتك بعنصرية تامّة جميع الأطراف الأخرى، ومدينة وهران من المدن الجزائرية التي سكنت بها جماعات من الغجر والعرب، والإسبان، والفرنسيين ترى هذا الاصطدام الدائمي. في كل فقرة من هذه الرّواية هناك اصطدام بين الفرنسيين وباقي القوميات التي كانت في وهران، ومن أهم اصطدام القومية الفرنسية والغجرية هي المرأة الفرنسية التي أضاعت حقيبتها وأتهمت أنجلينا بالسرقة:

"في عمق المارشي المكتظ بالغادي والرائح، ارتفع صوت السيدة مخترقاً هدوء الناس ونعومة حركة السوق. أنقذوني. سرقني الغجر. المتوحشون سرقوا حقيبتي اليدوية وكلّ نقودي.. يبدو لا رجال في المدينة إلا المسوخ. أعرفهم. سأفضحكم أمام الشرطة... ثمّ أشّرت بإصبعها نحو أنجلينا، وعازف القيثارة ميغيل سانتوس.. سرقتني هذه الكلبة!"[66]

وكانت المرأة الفرنسية التي كانت تدعى "ماري مادلين" تحقّر الغجر قائلة:

"من يسرقني غير هؤلاء الغجر الذين أفسدوا المدينة"[67]

فالمرأة الفرنسية تحقّر القومية الغجرية وتراهم بأنّهم لصوص لا غير. ومع أنّ أنجلينا كانت تحترم هذه المرأة وتلقّبها بالسيدة إلا أنّ العجوز كانت تهينها أكثر فأكثر:

"خلص. الآن، يا أنا يا أنتِ. فتّشيني وإلا أذبحك أمام الناس. _يُفتّشك الشرطي. لن أوسّخ يدي بغجرية سرّاقة... غجر، وأجسادكم رخيصة"[68]

فالعنصرية التي كانت تمارسها العجوز حصيلة البعد القومي فهي فرنسية وترى العرق الفرنسي أعلى من الغجر. ثمّ أنجلينا تقول للعجوز:

"فتّشيني يا وسخة. لا تختلف رائحتك عن رائحة النازيين. ألم نكن آريّين من أصول هندية؟ ومع ذلك ذبحونا. فعلوا ما تفعلينه الآن معي. اعتبرونا جنساً منحطاً، لأننا اختلطنا كثيراً مع غيرنا من الأقوام. آريّون فاسدون. لهذا كان مصيرنا في النهاية المحتشدات الجهنمية. وحوّلونا إلى فئران تجربة لغازات الموت التي أبادتنا بشكل شبه كلّي. طبعاً لا تعرفين هذا، لأن كتبك المدرسية لا تتحدث عن هذه الإبادة الجماعية، بل لم تزعج محاكمات نورومبرغ نفسها بإدراج إبادة الغجر في حديثنا. لم يلتفتوا نحونا. لم نكن موجودين مطلقاً. لم يكن أحد يرانا سوى النازية، وأنتِ اليوم... هل وجدتِ شيئاً؟ _لا. أعتذر. أنتِ كنتِ ورائي. –متأكدة من أنّه لا يوجد شيء؟ _لا أبداً. شككت فيكِ. عندما نلتفت ونجد وراءنا غجرياً، لابدّ أن يكون هو السارق أو المعتدي ؟"[69]

فأنجلينا ترى فعل هذه العجوز كفعل النازيين عندما أبادوا الغجر وفي نهاية التفتيش لم تجد العجوز شيئاً. وكانت هذه الفرنسية تتمنّى هتلر في وهران بعدما سألت إيميليانو زباطا عن مركز الشرطة:

"المكان الوحيد الذي لا أخطئ فيه. مركز الشرطة، علاقتي به دائمة.. كأنك لستِ من هنا؟ _لستُ من هنا. أزور أختي من حينٍ لآخر. أنا من وسط وهران. تعيشون وسط وحوش من السرّاقين الغجر. لم يخطئ هتلر عندما قادهم نحو الأفران مع اليهود. لو عاصرته كنت أخبرته بأن يأتي إلى وهران، هي أيضاً بها يهود وغجر، ويمحو هذا المكان من الخارطة"[70]

غالباً ما يأتي وصف الغجر بالوحوش من قبل السلطات الفرنسية وقومية العرب بالإرهابيين لكي يبرز العرق الفرنسي على باقي القوميات.

3. النتائج

بعد دراسة رواية "الغجر يحبون أيضاً" من خلال مظاهر السلطة في هذا النص الروائي وجدنا بأنّ الروائي ركّز على السلطة الاستعمارية/ الفرنسية أكثر من باقي السلطات رغم أنّ هنالك سلطات أخرى كالسلطة السياسية، والسلطة النازية، والسلطة الزوجية، والسلطة الثقافية والتراثية بالنسبة للغجري الشاب، والسلطة المالية وكل هذه الأمور كانت تتمحور حول السلطة الاستعمارية/ الفرنسية. فقد كانت تعاني شخصيات الرّواية من العنصرية والاضطهاد بسبب قرارات الاستعمار الفرنسي إذ أنّ جعل وهران إلى نصفين: نصف فرنسي، ونصف غير

فرنسي لأنّه بالنسبة للمستعمر لا يستحق الاحترام لأنّ الجرائم تأتي من هذا النصف. سعى الروائي بأن يصف للمتلقّي ثقافة الغجر، والإسبان واصطدامهم بالفرنسيين وكان الأنا العربي بالنسبة لباقي الأنوات باهت بشكلٍ لافت، ولم يكن للعربي أو السلطة العربية أي دور في هذه الرّواية لأنّه حاول أن يروي لنا معاناة الغجر وتاريخهم في المغرب العربي وأوروبا تحديداً وكانت بطلة الرّواية أنجلينا قد عانت من كيد سلطة الرقيب سواء كان هذا الرقيب هو الرجل –ولياً كان أو زوجاً- أو السلطة الحاكمة أو سلطة المجتمع، وهذه السلطة كثيراً ما تقابل بمصطلح الذكورة، إذ غالباً ما ينتهجها ذكر في مقابل الأنثوي الذي لا يملك أحقية في الكثير من الأشياء. ما جعل هذا الآخر الأنثوي يحس بأنه ضعيف مقيد ومستغل، لدرجة إحساسه بالاغتراب في مجتمعه، حاول الرّوائي كتابة معاناة الغجر وقد وظّف التاريخ لهذه المهمّة كما أنّ حاول أن يروي قضايا مرتبطة بالغجر من خلال نظرة الآخر الفرنسي للغجر، والآخر الفرنسي بصفته محتل لوهران فقد كان من الطبيعي أن لا يعامل الغجر والعرب إلا بحدّة، ولكن هناك نظرة أخرى للآخر الغجري وهي نظرة الغجري لنفسه وقد كانت هذه النظرة، نظرة دونية، وكأنّ الشخصيات لم ترضى من الأمور الجارية بين الغجر، وحتّى الثقافة الغجرية في ميزان نقد الشخصيات تُطرد.

5. الإحالات والتهميش:

[1]. عسكر عسكري، **نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي**، (2010م)، ص73.

[2]. شكري عزيز ماضي، **في نظرية الأدب**، (2005م)، ص133.

[3]. شكري عزيز ماضي، **في نظرية الأدب**، (2005م)، ص69.

[4]. أحمديان، حميد، **مناهج النقد الأدبي العربي المعاصر (عملي- تطبيقي)**، (1393ش)، ص39.

[5]. عسكر عسكري، **نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي**، (2010م)، ص 70.

[6]. عبد الحسين زرينكوب، **نقد أدبي**، (1361ش)، ص41.

[7]. أحمديان، حميد، **مناهج النقد الأدبي العربي المعاصر (عملي- تطبيقي)**، (1393ش)، ص39.

[8]. ويلفرد غرين، **مباني نقد أدبي** (1385ش)، ص 268.

[9]. شكري عزيز ماضي، **في نظرية الأدب**، (2005م)، ص 132.

[10]. صبري حافظ، **"الأدب والمجتمع"** مجلة فصول، (1981م)، ص67.

[11]. شكري عزيز ماضي، **في نظرية الأدب**، (2005م)، ص 72.

[12]. وليد قصّاب، **مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية**، (2007م)، ص36.

[13]. علال سنقوقة، **المتخيل والسلطة في الرواية الجزائرية**، (2000م)، ص7.

[14] . سلمى الجيوسي، **البطل في الأدب العربي المعاصر**، الشخصية البطولية والضحية، (1977م)، ص372.

[15] . جقاوة الشيخ، ولعلى بوكميش، **"السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية"**، (2018م)، ص735.

[16] . جقاوة الشيخ، ولعلى بوكميش، **"السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية"**، (2018م)، ص735.

[17] . سهام بشير، **النقد السردي في المتخيل والسلطة**، (2015م)، ص82.

[18] . نجوى طراد، وشهرة بوبقيرة، **الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح أنموذجا**، (2017م)، ص 23.

[19] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً** ، (2019م)، صص 8-9.

[20] . هشام محمد الحجوج، **علاقة الرواية العربية بالحدث السياسي ما بعد العام 2010**، (2015م)، ص11.

[21] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 28.

[22] . نجوى طراد، وشهرة بوبقيرة، الأبعاد **السياسية والاجتماعية في الرواية العربية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح أنموذجا**، (2017م)، ص24.

[23] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 52.

[24] . سلمى الجيوسي، البطل في الأدب العربي المعاصر، الشخصية البطولية والضحية، (1977م)، صص 44- 45.

[25] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 102.

[26] . زينب الحسامي، **الاستعمار، موسوعة ستانفورد للفلسفة**، (2017م)، ص3.

[27] . زينب الحسامي، **الاستعمار، موسوعة ستانفورد للفلسفة**، (2017م)، ص2.

[28] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 22.

[29] . عبد الملك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830- 1962) رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري**، (2003م)، ص8.

[30] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 22.

[31] . كبرى روشنفكر ، كاوه خضري، هادي نظري منظم، وفرامرز ميرزايي، **"سمات المحلية في رواية ذاكرة الجسد دراسة في نظرية العالمية الأدبية"**، (1440ق)، صص88-89.

[32] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 22.

[33] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 23.

[34] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 38.

[35] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 99.

[36] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 102.

[37] . جبالي مريم أنيسة، **صورة الأرض في روايات عزالدين جلاوجي**، (2011م)، ص35.

[38] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 20.

[39] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 60- 61.

[40] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 76.

[41] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 77.

[42] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، صص 77-78.

[43] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 101.

[44] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 24.

[45] . عبد الحليم بن صالح، ومحمد بن حاج إبراهيم، **أبعاد الخطاب الاجتماعي المعاضد للمرأة في رواية استقالة ملك الموت أنموذجاً**، (2020م)، ص: 233.

[46] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 34-35.

[47] . عبد الله بن محمد بن ناصر المهنا، **دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا لنجيب محفوظ**، (1996م)، ص 13.

[48] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 65.

[49] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 84.

[50] . هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، (1999م)، ص11.

[51] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، صص 85-87.

[52] . عبد الله الغذامي، حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية، (2005م)، ص4.

[53] .ابن عبد العالي عبد السلام، **النص والسلطة والمجتمع: الميتافيزيقيا–العلم- الآيدلوجيا**، (1993م). ص 82-83.

[54] . محمود أمين، **الرواية بين زمنيتها وزمنها مقاربة مبدئية عامة**، (1993م)، ص 16-17.

[55] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 47.

[56] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 59.

[57] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 99.

[58] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 110.

[59] . سعيد، حمزاوي، **صورة المرأة في المعتقدات الشعبية، الموروث الشعبي وقضايا الوطن، الملتقى الوطني الأول للموروث الشعبي**، (2006م)، ص22.

[60] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، صص 88- 89.

[61] . ميراث العيد، **الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري**، دراسة في الأشكال التراثية، (2000م)، ص12.

[62] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 91.
[63] . إلهام وسطاني، **الأنساق الثقافية في رواية الخابية لجميلة طلباوي**، (2021م)، ص56.
[64] . زهية طرشي، **تشكيل التراث في أعمال محمد فلاح الروائية**، (2015م)، ص31.
[65] . مصطفى عبد الغني، **الاتجاه القومي في الرواية**، (1994م)، ص15.
[66] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 109.
[67] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 110.
[68] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 111.
[69] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 113.
[70] . واسيني الأعرج، **الغجر يحبون أيضاً**، (2019م)، ص 130-131.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمديان، حميد. (1393ش). **مناهج النقد الأدبي العربي المعاصر (عملي- تطبيقي)**، ناشر: جامعة اصفهان وسمت.
- الأعرج، واسيني، (1986م)، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- الأعرج، واسيني، (2019م): **الغجر يحبون أيضاً**، ط1، بيروت: دار الآداب.
- امين، محمود، (1993م)، الرواية بين زمنيتها وزمنها مقاربة مبدئية عامة، **مجلة فصول الربيع**، المجلد 12، العدد الأول.
- أنيسة، جبالي مريم، (2011م)، **صورة الأرض في روايات عزالدين جلاوجي**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، فرع اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة قاصدي مرباح.
- بشير، سهام. (2015م). **النقد السردي في المتخيل والسلطة ل:علال سنقوقة**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي.
- بن صالح، عبد الحليم، ومحمد بن حاج إبراهيم، (2020م)، أبعاد الخطاب الاجتماعي المعاضد للمرأة في رواية استقالة ملك الموت أنموذجاً، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**، صص230- 254.
- الجيوسي، سلمى الخضراء، (1977م)، البطل في الأدب العربي المعاصر، الشخصية البطولية والضحية، **مجلة الكاتب**، العدد 200.
- حافظ، صبري. (1981م). "الأدب والمجتمع" **مجلة فصول**، القاهرة، العدد2، صص60-80.

- الحجوج، هشام محمد، (2015م)، **علاقة الرواية العربية بالحدث السياسي مابعد العام 2010**، جامعة مؤتة: رسالة مقدمة لنيل درجة الماستر في الأدب العربي.
- الحسامي، زينب، (2017م)، الاستعمار، موسوعة ستانفورد للفلسفة، مراجعة: محمد الرشودي، **مجلة حكمة**، صص1–25.
- حمزاوي، سعيد، (2006م)، **صورة المرأة في المعتقدات الشعبية، الموروث الشعبي وقضايا الوطن**، الملتقى الوطني الأول للموروث الشعبي، الرابطة للفكر والإبداع، الجزائر: مطبعة مزوار للنشر والتوزيع.
- روشنفكر كبرى، كاوه خضري، هادي نظري منظم، وفرامرز ميرزايي، (1440ق)، "سمات المحلية في رواية ذاكرة الجسد دراسة في نظرية العالمية الأدبية"، **مجلة آفاق الحضارة الإسلامية**، السنة 22، العدد1، صص79–103.
- زرينكوب، عبد الحسين. (1361ش)، **نقد أدبي**، تهران: اميركبير.
- سنقوقة، علال. (2000م)، **المتخيل والسلطة في الرواية الجزائرية**، ط1، الجزائر: رابطة كتاب الاختلاف.
- شرابي، هشام. (1999م)، **النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين**، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الشيخ، جقاوة، ولعلى بوكميش. (2018م)، "السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية"، **مجلة الحقيقة**، العدد43، صص 730– 758.
- طراد، نجوى، وشهرة بوبقيرة. (2017م)، **الأبعاد السياسية والاجتماعية في الرواية العربية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح أنموذجا**، مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي.
- طرشي، زهية، (2015م)، **تشكيل التراث في أعمال محمد فلاح الروائية**، الجزائر: سكرة، جامعة محمد خيضر.
- عبد السلام، ابن عبد العالي. (1993م)، **النص والسلطة والمجتمع: الميتافيزيقيا –العلم– الآيدلوجيا**، ط2، بيروت: دار الطليعة.
- عبد الغني، مصطفى. (1994م)، **الاتجاه القومي في الرواية**، الكويت: عالم المعرفة.
- عسكري، عسكر. (2010م)، **نقد اجتماعي رمان معاصر فارسي**، ط2، طهران: نشر فروزان.

- العيد، ميراث، (2000م)، الأصول التاريخية لنشأة المسرح الجزائري، دراسة في الأشكال التراثية، **مجلة إنسانيات**، عدد12، صص12–22.
- الغذامي، عبد الله، (2005م)، **حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية**، الدار البيضاء: المركز الثقافي الغربي.
- غرين، ويلفرد. (1385ش)، **مباني نقد ادبي**، ترجمه: فرزانه طاهري، ط4، تهران: انتشارات نيلوفر.
- قصّاب، وليد. (2007م)، **مناهج النقد الأدبي الحديث**، رؤية إسلامية،ط2، دمشق: دار الفكر.
- ماضي، شكري عزيز. (2005م)، **في نظرية الأدب**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مرتاض، عبد الملك، (2003م)، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830– 1962) رصد لصور المقاومة في الشعر الجزائري**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- المهنا، عبد الله بن محمد بن ناصر، (1996م)، **دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا لنجيب محفوظ**، الرياض: دار عالم الكتب.
- وسطاني، إلهام، (2021م)، **الأنساق الثقافية في رواية الخابية لجميلة طلباوي**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي.